الفئات اللبنانية، على الحدود الجنوبية، تتعامل مع الاسرائيليين، وقد بدأ سكان العديسة والخيام والطيبة وبنت جبيل بتهريب الماشية واللحوم إلى الاسرائيليين، فما كان من الدولة إلا أن بدأت باعتقال المهربين ومصادرة البضاعة[٢٤]. كما تلقت وزارة الخارجية اللبنانية تقريراً من وزارة الخارجية السورية تضمن قضايا تهريب المواد الغذائية، والرجال أيضاً، إلى فلسطين، وجاء فيه أن بعض سكان القرى اللبنانية المتاخمة للحدود الفلسطينية يهربون إلى اسرائيل لمساعدة الصهيونيين. واضاف التقرير أن سوريا اتخذت تدابير عسكرية صارمة على حدودها منعاً لظهور عمليات مشابهة، وطلبت الخارجية السورية تزويدها بنسخة من تدابير الحكومة اللبنانية «لقمع هذه العمليات التي تهدد كيان البلدين وتغذي العدو المشترك»[٢٥].

محاولة التغيير

وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٩، شهد لبنان تطورات سياسية وعسكرية قام بها الحزب القومي السوري ضد الدولة، فقد دعا انطون سعاده القوميين للانتفاضة القومية لتسلم الحكم، وهاجم الحكومة لاعتقالها خمسمئة قومي اجتماعي. واعتبر سعاده أن سبب اقدام الحكومة اللبنانية على عملية الاعتقال إنما يعود لانقاذ معنوياتها المحطمة بعد خزي فلسطين وعار الهدنة والاتفاق مع اليهود، ولمحاولة عقدها اتفاقية تجارية مع الدولة اليهودية. ويضيف سعاده مهاجماً الحكومة والكتائب والكتلة الوطنية فيقول: «يظهر أن الحكومة والتشكيلة المدعوة الكتائب والكتلة الطائفية الأخرى المدعوة الوطنية، قد استاءت من تصريح الزعيم في اجتماع برج البراجنة بأن الحزب القومي الاجتماعي يعد جيشاً لاسترجاع فلسطين، فلم يبق امامها غير اعلان الحرب على الحزب القومي الاجتماعي ارضاء لليهود... إنها المحاولة الاخيرة للتغرير بالطائفة المارونية في تكتل انعزالي طائفي مخالف للروح السورية القومية الأصيلة»[٢٦].

ولم تلبث الدولة طويلاً كي تبدأ برد التهم الموجهة ضدها من انطون سعاده، فبدأت بمحاكمة القوميين المعتقلين، ووجه يوسف شربل، النائب العام الاستئنافي، في ١٩ حزيران (يونيو) مذكرة عن قضية الحزب القومي إلى رئيس الحكومة، وزير العدلية، آنذاك، رياض الصلح، ادعى فيها تعامل القوميين مع اسرائيل ومحاولتهم استلام الحكم ومناوأة حسني الزعيم، رئيس الدولة السورية.

ومما يسترعي الانتباه في مذكرة النائب العام الاستئنافي بعض الملاحظات ومنها الملاحظتان التاليتان:

١ - تبين من مذكرة النائب العام أن الدولة اللبنانية كانت تتعمد تأليب حسني الزعيم على انطون سعاده، وقد استخدم هذا التأليب اكثر من مرة في المذكرة المشار إليها، ذلك لأن سعاده كان قد التجأ إلى سوريا هرباً من الاعتقال. وكان الهدف من هذا التأليب احداث الشقة بين حسني الزعيم وانطون سعاده، والعمل على تسلم السلطات اللبنانية سعاده، وهذا ما حدث فعلاً بعد فترة قصيرة.